تـمّ تحميل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الإسلام عند غير المسلمين

الحلقة (9)

بسم الله أبدأ ..

وفي ظل المصطفى عليه الصلاة والسلام يكون الحديث ..

وبهدي من دين الإسلام يمضى الفكر يلتمس التوفيق..

أيها الأخوة في العروبة..

رينهارت دوزي هولندي من أسرة فرنسية اشتهر غالبية أفرادها بالولع الشديد بالدراسات الشرقية .

ولد في مدينة ليدن عام 1820 وتعلم لغة العقاد في منزل الأسرة وهو لم يزل صبياً يافعاً .. وفي سنه الثانية والعشرين فاز بجائزة جامعة ليدن عن رسالة في ملابس العرب .. ومنذ ذلك الفوز وهو يبحث وينقب ويدرس ويترجم ويناقش ويحلل كل ما يقع تحت يده من مخطوطات عربية تاريخية وفلسفية وحضارية حتى تجاوزت أبحاثه المنشورة مائة وعشرين مؤلفا .

وعندما انتهت حياته عام 1883 ترك مجموعة ضخمة من الآراء العلمية التي بناها على تحقيقات علمية اتسمت غالبيتها بالدقة واتصفت في مجموعها بالتحليل البارع .

ولما كان الرجل .. رينهارت دوزي .. قد أغرق نفسه طوال حياته في التاريخ العربي الإسلامي حتى وصفه معاصره دي يونج بأنه عاش مع العرب والمسلمين القدامى أكثر مما عاش مع بني جلدته من الهولنديين والأوروبيين عامة .

ولقد أثمرت هذه المعايشة فيما أثمرت وجهات نظر جديدة انفرد بها رينهارت دوزي عن غيره من المستشرقين .

فدوزي مثلاً قدم تحليلاً لشخصين البدوي الجاهلي الذي جاءه المصطفى برسالة الإسلام لم يسبقه إليه مستشرق .

ودوزي أيضاً قدم للأجيال تبريراً لروح الاستشهاد التي استطاعت أن تقيم للإسلام أكبر دولة عرفتها البشرية ..

ثم أن دوزي أجرأ مستشرق في رد اعتبار ابن رشد في الغرب والاعتراف بفضل ابن خلدون كمؤسس لعلم الاقتصاد السياسي الذي ينظم اليوم حياة المجتمعات البشرية ولم تعرفه أوروبا إلا في القرن التاسع عشر.

ولنبدأ مع المستشرق الهولندي رينهارت دوزي رحلة حياته مع العرب .. يقول فيهم ..

إن هذا الشعب – يقصد الشعب العربي – يعوزه الذكاء والحيوية اللازمة لتوسيع دائرة نشاطه والترقي والنهوض بأحواله. ونحن إن أبصرناه جامداً معطياً ظهره للترف وماديات الحياة فما ذلك إلا لقناعته باستبدال الحياة الدنيا بالحياة الآخرة على أنه من السهل إدراك حقيقة الآباء البدوي ذلك أن مبادىء المساواة أظهر ما تكون في المجتمع العربي الصحراوي منها في أي مكان آخر. فالبدو يرفضون مبدأ السيادة وعدم المساواة في العلاقات الاجتماعية فالجميع لا يقيمون معنى للثراء، وازدراء المال مثل عندهم أعلى، فالكل يخضعون لظروف واحدة ويعيشون حياة واحدة ويرجون معاً جنة واحدة .

هذه الحقائق الاجتماعية التي توصل إليها المستشرق الهولندي وأفرد لها فصولاً طويلة في كثير من مؤلفاته هي اليوم جزء من غالبية الدراسات العلمية التي تقدمه الكثير من الجامعات لأجيال الدارسين بها الراغبين في معرفة أصول السلوك العربي وحركة الجماهير العربية .

فدوزي مثلاً يعلل منذ أكثر من مائة عام سر كثرة حكايات التمرد والتحرر في الحياة العربية قديمها وحديثها إلى قناعة بأن البدوي أكثر البشر تمتعاً بالحرية المطلقة فهو الذي ردد أن لا اله إلا الله بكل ما حوته الشهادة من قيم المتمردة الرافضة لكل تأله إنساني حتى أن عند دوزي عاش مبادىء الثورة والحرية والإخاء والمساواة وقبل أن يعرفها الفرنسيون أنفسهم بمئات ومئات من السنين .

ويختم دوزي وصفه الدقيق لإيمان العرب بحريتهم بقوله بالحرف الواحد:

فإن قارنا بين مبادىء الحياة العربية بمبادىء الأحرار التقدمية عندنا لتراءت لنا الأخيرة وكأنها مبادىء اضطهاد.

ويناقش المستشرق الهولندي الكبير رينهارت دوزي الأسباب التي جعلت من بدو الجزيرة العربية حملة مبادىء دينية وسياسية واجتماعية ومؤسسي أكبر دولة عرفها التاريخ وصناع الحضارة التي قامت على نتائجها المكتشفات العلمية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين .. فنراه يفرد فصلاً طويلاً في كتابه عن تاريخ مسلمي أسبانيا يسجل فيه رأيه في الجماعية العربية والعقيدة السماوية كأصلان رئيسيان في كل ما أحرزه العرب من انتصارات .

يقول رينهارت دوزي في الجماعية العربية :

إن جميع البدو أخوة حتى من استقر منهم على نهر أو أقام أسلافه عند زرع والعصبية جزء من حياتهم كالشهيق والزفير وهي ليست مجرد رابطة يشعر بها العربي وإنما هي طبيعة أصيلة فيه تنمّي عنده غريزة الإخلاص المطلق لجماعته والعمل على عزها يعيش من أجلها ويموت في سبيلها بعاطفة جامحة تفوق وطنيتنا وترتفع فوقها فداء وقدساً .

ويختتم رينهارت دوزي تحليله للروح الجماعية عند العرب بقوله:

إنها في الحقيقة كالدين عند العرب..

ويمضي المستشرق الهولندي رينهارت دوزي في سير أغوار الشخصية العربية بعد نزول الإسلام فنراه يتحدث عن الرسول المصطفى وكيف رآه كمؤرخ ذا نفس شديدة التقوى ، الدين عنده هو الحياة .. والحياة عنده أداء الرسالة .. والرسالة عنده المساواة .. إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ..

ويصف دوزي ما فعله الإسلام بعرب الجزيرة وكيف انتزعهم من الصحراء وأطلقهم في العالم فاتحين تاركين في سمع الدنيا دوياً عظيماً بفعالهم النابهة إذ أخذوا عمن سبقهم كل ما عرفوه من مسائل علمية وزادوا عليها دراسات دقيقة صائبة.

ويرد المستشرق الهولندي كل ما حققه العرب في ظل الإسلام إلى ما وصفه بالسيطرة الجارفة للإيمان على النفوس ..

قال دوزي :

العربي أساساً مستعد للتضحية مهما غلت ولو خاطر بحياته وإذا جاءته عقيدة محمد نراه يقتحم الأخطار التي لا يمكن لغير الإيمان والحماس أن يصنع فيها المعجزات فهو يقاتل بطبيعته الحماسية وعقيدته الدينية حتى يتمزق جسده إرباً إرباً حتى حوافز الخيل حتى لا يشبه جسده جسم الانسان في شيء .

أيها الأخوة في العروبة ...

لعل خير ما نختم به هذه الحلقة عن المستشرق الهولندي رينهارت دوزي قوله في الإسلام كدين بشرية .. إنه دين يقوم كعبادة على وحدانية بسيطة.. أما كتعاليم فهو أقل الأديان غموضاً وأكثر مطابقة للعقل وأنقاها.

هذا قليل من كثير تضمه دراسات غير المسلمين عن دين الله الإسلام والعرب الأحرار الأبطال أرجو لو سعى شبابنا إلى الاستزادة منه تثبيتاً للإيمان في قلوبهم وإشاعة للحرية في مجتمعهم والتماساً للبطولة في حياتهم.

والله الموفق ... الله المعين .....